مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسدِ* فإنْ كنَّا ونحنُ طالِبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحن أيضاً خطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادِماً للخطيئةِ. حاشى* فإنّي إن عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعلُ نفسي متعدِّياً* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموسِ لكي أحيا للهِ* مع المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسه عني.

القديسة صوفيا وبناتها

تُعيِّد الكنيسة المقدَّسة في السابع عشر من أيلول لتذكار القديسات الشهيدات صوفيا (حكمة) وبناتها الثلاث: بيستي (إيمان) وألبيذي (رجاء) وأغابي (محبة) اللواتي حملن صليب المسيح وتبعنه ولم يخجلن من إيمانهن بالمسيح وبالإنجيل لكي يخلّصن أنفسهن، فاستحقين عن جدارة الدخول إلى ملكوت الله، تماماً كما نقرأ في المقطع الإنجيلي (مر ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩:١) المخصص لهذا الأحد، أي الأحد الذي بعد رفع الصليب.

عاشت صوفيا وبناتها الثلاث في إيطاليا في القرن الثاني على أيام الإمبراطور أدريانوس (١١٧–١٣٨). عشن جميعهن على التقوى والإيمان بالرب يسوع. ولقد كان لصوفيا الدور الكبير في تربية بناتها على محبّة الرب والإيمان به والرجاء، لذلك دعتهن كذلك. إنها مثال الأم الحكيمة التي عرفت ماذا تختار لأولادها ففضّلت أن تزرع فيهنَّ حكمة الله بدلاً من حكمة الناس، فاستحقت اسم صوفيا عن جدارة. لقد سهرت على أن تؤمِّن لهنَّ خلاص نفوسهنَّ إلى جانب مقومات الحياة على الأرض، فزرعت في نفوسهنَّ تعاليم الرب وعملت على رعاية هذه الزروع لكي تنبت أزهاراً لا تذبل في ملكوت الله.

انتقلت العائلة من موطنها للعيش في روما، في وسط جماعة غير مسيحية بل وثنية، فقامت صوفيا تبشِّر في وسطهم بالمسيح وإنجيله. لم تستحِ بالرب وبكلمته كما يقول إنجيل اليوم. لقد أيقنت انه إذا أرادت أن يعترف الرب بها وببناتها أمام ملائكة الله فعليها أن تعترف به أمام كل الناس (لو ١٢:٨). لقد أيقنت انه لا يمكن أن تطمر الوزنات التي أنعم الله عليها بها، فكانت تقول مع بولس الرسول: «ويلٌ لي إن كنتُ لا أُبشِّرُ» (١ كور ٩:١٦). لم تحتج بأمور العائلة لكي تهمل البشارة، بل قامت بكليهما على أكمل وجه. لم تَخَفْ لأنها كانت مؤمنة بأن حياتها هي في المسيح وللمسيح كما تقول رسالة اليوم: «مع المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيَّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسهُ عنّي» (غلا ٢:٢٠).

العدد ٢٠٠٧/٣٧

الأحد ١٦ أيلول

الأحد بعد رفع الصليب

تذكار القديسة العظيمة في الشهيدات أوفيمية الكلية المديح

اللحن السابع

الإنجيل

(مرقس ٨:٣٤–٣٨؛ ٩:١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعني فليكفُرْ بنفسه ويحمِل صليبه ويتبعني. لأنَّ مَن أرادَ أن يُخلِّصَ نفسَه يُهلكها ومَن أهلكَ نفسَه من أجلي ومن أجل الإنجيل يُخلِّصها* فإنَّه ماذا ينتفِع الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كلَّه وخسرَ نفسَه* أم ماذا يعطي الإنسانُ فداءً عن نفسه* لأنَّ مَن يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ يستحي به ابنُ البشر متى أتى في مجد أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ ههنا لا يذوقونَ الموتَ حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

أنحب الله محبة لاهبة؟ يجب أن نضحي بالجسد والروح من أجله. لنكن دائماً على استعداد للتضحية بالجسد في كل لحظة حتى تصبح روحنا بكليتها ملكاً له. فإذا نقينا كل حركة وكل رغبة في النفس وأرجعناها لله

وصل خبر صوفيا إلى الإمبراطور أدريانوس الذي أمر بإلقاء القبض عليها وعلى بناتها وإحضارهن أمامه. كانت بيستي في الثانية عشرة من عمرها، وألبيذي في العاشرة، وأغابي في التاسعة. حاول أدريانوس استمالتهن بالحسنى والوعود، لكنه رغم صِغر سن الفتيات لم يفلح، إذ ان ما زرعته الوالدة في نفوسهن كان في أرض خصبة أينعت ثلاثين وستين ومئة. ولما لم ينجح في إغراءاته لهن أخذ في تعذيب الفتيات أمام عيني أمّهن على أمل أن تتراجع الأم عن إيمانها أمام منظر بناتها المعذبات. إلاَّ ان الفتيات فضلن إهلاك أنفسهن من أجل المسيح لكي يخلصن. عذب الإمبراطور الفتيات الثلاث الواحدة تلو الأخرى إلى أن قطع رؤوسهن بحضور الوالدة صوفيا. وفي كل ذلك كانت الأم صابرة صامدة تشجع بناتها ليثبتن في محبّتهن للمسيح. ولأن أدريانوس يعرف حنوّ الأمهات بشكل عام على أولادهن فقد أطلق سراح صوفيا لكي تحيا فريسة للحسرة في داخلها وللعذاب. أخذت صوفيا أجساد بناتها الشهيدات وأودعتهن القبر، وجلست إلى جانب ضريحهن تصلّي لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ متتالية من دون توقف، وفي اليوم الثالث أسلمت صوفيا الروح ولحقت ببناتها لتنال إكليل المجد في ملكوت الله.

قد يكون ان صوفيا وبناتها رقدن بالجسد إلاّ انهن يقمن، ومنذ الآن، عن يمين الرب في ملكوته يُصلّين له لكي يعين كل والد ووالدة في جهادهم لتأمين الخلاص لأولادهم، كما يتشفعن من أجل نمو كلّ طفل وطفلة كشجرة مثمرة في ملكوت الله. فبشفاعاتهن أللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

كتاب يونان النبيّ

بخلاف كتب الأنبياء الأخرى، لا يتألّف كتاب يونان النبيّ من مجموعة نبوءات موجهة إلى إسرائيل، بل هو حكاية صغيرة متّصلة تروي مشاهد من حياة يونان، ولا سيّما ما يختصّ بالأمر الذي وجهه إليه الرب أن يذهب إلى نينوى ويحثّ أهلها على التوبة. ولعل أول ما يلفت في هذه القصة القصيرة ذات المدلول العميق أنّنا أمام نبيّ لا يطلب منه الربّ أن يتكلّم إلى إسرائيل، بل إلى مدينة وثنيّة نعرف من التاريخ أنّها كانت عاصمة المملكة الأشوريّة التي تسبّبت في سقوط مملكة السامرة، شمال إسرائيل (٧٢٢ ق.م.). ما يعرفه قارئ كتاب يونان، إذاً، أنّ الله، هنا، يقرّر إرسال نبيّ إلى شعب وثنيّ هو، تقليديًّا، من أعداء الشعب الإسرائيليّ. والأكيد أنّ هذه الحادثة تشير إلى اهتمام الرب، إله إسرائيل، بكلّ الشعوب وسعيه إلى تحقيق خلاصها. فكتاب يونان يُختتم بقول للرب يعبّر عن مدى الشفقة التي يكنّها للمدينة الوثنية: «أفلا أشفقُ أنا على نينوى المدينةِ العظيمةِ التي يوجد فيها أكثرُ من إثنتي عشرةَ رِبوةً من الناسِ الذين لا يعرِفون يمينهم من شِمالِهم وبهائمُ كثيرةٌ» (يو ٤:١١). ويؤكّد الكتاب، على المستوى الأدبيّ، أهميّة المكانة التي تتمتّع بها نينوى في عينيّ الرب، إذ يجري تكرار عبارة «نينوى، المدينة العظيمة» ثلاث مرّات (يو ١:٢؛ ٣:٢؛ ٤:١١). كما يشير كاتب النص إلى أنّ نينوى كانت «مدينةً عظيمةً جدًّا يقضي اجتيازها ثلاثة أيام». ويكتب القديس مكسيموس المعترف (٥٨٠–٦٦٢)، معلّقاً على هذا المقطع، أنّه لم يعثر في العهد القديم كلّه على هذا اللقب يُطلق على أورشليم، ما يدل

سنحقق رغبتنا. إذا طلبنا أن تكون النفس سعيدة فإننا نطلب ذلك على أساس محبتنا لله وذلك بإتمام إرادته وحفظ وصاياه الأزلية. التفكير الآتي يوضح ذلك بصورة جلية. لماذا نهتم من أجل نفوسنا ولماذا نحبها هكذا؟ لأننا لا نريد أن تحيا فقط بل أن تحيا سعيدة. من يريد أن يحيا شقياً؟ لا أحد. ماذا قال المخلّص ليهوذا ذي النفس المخيفة؟ «كان من الأفضل ألاّ يولد هذا الإنسان» (متى ٢٦:٢٤). بما ان حياة النفس السعيدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمحبة الله فمن الواضح انه عندما نحب الله نحب أنفسنا ونبتغي سعادتنا. يجهل الكثيرون، لسوء الحظ، أن سعادة النفس الحقيقية تقوم على محبة الله. فهم لذلك يوجّهون محبتهم للأمور الأخرى وكثيراً ما يفضّلون هذه الأمور التي تحزن نفوسهم فينتهون إلى الشقاء لأنهم لا يحترمون نفوسهم. أما المسيحيون أصحاب القيم الحقيقية فيكرّسون ذواتهم لله لأنهم

على أنّ منزلة شعب نينوى، بحسب كتاب يونان، لا تقلّ عن منزلة المدينة المقدّسة، مدينة داود. ولعلّ كتاب يونان، في تشديده هذا على رأفة الربّ بمدينة نينوى، عدوّة إسرائيل، وسعيه الحثيث إلى خلاصها، يظهر بوصفه أبرز كتب العهد القديم تعبيراً عن عدم انحصار ربوبيّة إله إسرائيل في بقعة جغرافيّة ضيّقة، هي أرض إسرائيل، بل امتدادها لتشمل شعوب الأرض جميعاً.

يُجمع دارسو الكتاب المقدّس على أنّ كتاب يونان، في شكله الحاليّ، نشأ بعد السبي إلى بابل (٥٨٧ ق.م.). ويُعزى ذلك إلى أنّ خبرة جلاء بابل علّمت المسبيّين، الذين باتوا خارج أرض إسرائيل، أن يعيدوا النظر في المفهوم الضيّق عن الله الذي كان لديهم، أي كونه إله إسرائيل وحسب. فاكتشفوا، عبر احتكاكهم بالشعوب الوثنيّة الأخرى، أنّ قوّة الله وحكمته وإرادة خلاصه لها امتدادات خارج الشعب اليهوديّ. ويُمعن كتاب يونان في التشديد على هذه الخبرة الجديدة عبر تأكيده أنّ الله لا يهتم بالوثنيين – من باب عنايته بالشعوب جميعاً – فحسب، بل يُرسل لهم أنبياء يكرزون بالتوبة، وذلك على شاكلة أولئك المرسَلين إلى إسرائيل تماماً. ويستزيد الكتاب في استخراج العبر مؤكّداً مسارعة أهل نينوى إلى التوبة، ما أن بدأ يونان يكرز فيهم، وذلك بخلاف أورشليم المدينة العاصية، والتي أدّت خطيئتها، بحسب النبيّ إرميا، إلى دمارها على يد البابليّين وسبي أهلها. ولعلّ أبلغ تعبير عن عظم توبة نينوى أنّ البهائم تشارك البشر توبتهم عبر لبسها المسوح (يو ٣: ٨)، والمعروف أنّ المسوح السوداء اللون

تشير، في التقليد اليهوديّ، إلى الحزن العظيم. أهل نينوى يعبّرون، إذاً، عن مدى حزنهم على خطيئتهم عبر إشراك بهائمهم في لبس المسوح.

العنصر الثاني الشديد البروز في كتاب يونان، بالإضافة إلى أُمثولة توبة نينوى، هو شخصيّة يونان ذاتها. ويظهر يونان في هذا الكتاب نبيًّا يتمرّد على الله. فنجده، في مستهلّ الكتاب، لا يمتثل لأمر الله بالذهاب إلى نينوى، بل يُبحر، في الاتجاه المعاكس، إلى ترشيش (يو ١:٣). ولا يمدّنا كاتب النص، بدءاً، بأي معلومات عن السبب الذي دفع يونان إلى الهروب من وجه الربّ. على مشارف نهاية الكتاب، تجد يونان يبرّر هذا الهروب بقوله إنّه كان عالماً، منذ البدء، بأنّ الربّ سيرأف بمدينة نينوى لا محالة، فلا جدوى من قدومه إليها (يو ٤:٢). المهم في الموضوع أن الكتاب يبيّن، على نحو لا يقبل الجدل، أنّ علاقة النبيّ بالله ليست، دوماً، علاقة انسجام. فالله يُحمِّل أنبياءه ثقل الكلمة التي يطلب منهم أن ينقلوها. وليس من النادر أن يؤدّي هذا ببعضهم إلى سلوك مشاكس أو إلى التمرّد. اللافت أنّ الله يؤدّب يونان على نحو لطيف. فهو، من جهة، يُرسل ريحاً عنيفةً على السفينة التي كانت تقلّه إلى ترشيش. ولكن، من جهة أخرى، ما أن يمتثل البحّارة لرغبة يونان ويلقونه في البحر، ليهدأ العاصف، حتى يرسل الله إلى يونان حوتاً ينقله إلى مكان يبدو أنّه ليس بعيداً عن نينوى، إذ لا يذكر الكتاب أنّ النبيّ كان مضطراً إلى ركوب البحر من جديد للإنتقال إلى نينوى. ترك كتاب يونان أثراً لا

يعرفون انهم سيحظون بالقرب منه بالسعادة الحقيقية. انهم يحبون الله بكل قوّتهم. ومحبة الله تنظّم كل محبة أخرى، محبة نفوسهم ومحبة كل الأشياء التي تُعتبر جديرة بالمحبة.

ان المخلّص بالنسبة لنا نحن المسيحيين هو أكثر من نفوسنا إلفة لذواتنا، والذين يهتمون حتى تكون كل حياتهم محبة للمسيح يعرفون الرباط الذي يربطهم به. يسرع المسيحي إلى المخلّص ولا سلام فيه وعندما يجده ويحيا فيه يشعر بالسعادة الحقيقية الوحيدة. انه يحب المسيح بكل قواه لأن الوصية الكبرى تفرض ذلك «أحبب الرب إلهك من كل قلبك وفكرك ومن كل قدرتك» (مر ١٢:٣٠)، وبما ان المسيحي يعطي كل محبّته لله فإنه لا يترك شيئاً، لا لنفسه ولا لأي شيء آخر. في كل مكان يصبح الحب رباطاً قوياً والذين يحبون الله يعيشون من أجل المسيح ويفرحون بالله فقط.

القديس نيقولا كاباسيلاس

يُستهان به في العهد الجديد. فبالإضافة إلى فكرة اهتمام الله بخلاص الوثنيين، التي يعبّر عنها هذا الكتاب الصغير أيّما تعبير، نجد يسوع في إنجيليْ متى ولوقا يستند إليه، في جداله مع مَن كانوا يطلبون منه آية، معتبراً أنّه لن تُعطاهم إلاّ آية يونان. وآية يونان هي، تارة، توبة أهل نينوى بواسطة كلام النبيّ، لا عبر معجزة قام بها (لو ١١: ٢٩–٣٠). وهي، طوراً، بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وذلك دلالةً على موت السيّد ومكوثه في باطن الأرض ثلاثة أيام (متى ١٢:٤٠). أمّا الليتورجيا الأرثوذكسية فتخص كتاب يونان بمكانة رفيعة، إذ تتمّ قراءة قصة يونان كاملةً، يوم السبت العظيم المقدّس المعروف بـ «سبت النور». ولهذا، طبعاً، سبب لاهوتيّ يستند إلى ما جاء على لسان السيّد في إنجيل متى، وفحواه أنّ مكوث يونان حيًّا في بطن الحوت إنّما هو رمز لموت السيّد. ولكنّ الملاحظ، أيضاً، أنّ قراءة كتاب يونان، يوم سبت النور، لا تتمّ منفردةً، بل هي واحدة في سلسلة طويلة من القراءات تحتلّ، في غالبيّتها، فكرةُ الماء مركز الصدارة. ويوحي هذا كلّه بأننا أمام مجموعة من النصوص اختارتها الكنيسة لأنها وجدت فيها رموزاً عن المعموديّة. والمعروف أنّ تعميد الموعوظين كان يتمّ في السهرانية الفصحيّة، التي حفظت لنا الليتورجيا معالمها الأساسيّة في خدمة السبت العظيم المقدّس. والحقّ أنّ الإشارة إلى المعموديّة والترميز إلى موت السيّد ومكوثه في باطن الأرض يتقاطعان. فالمعروف أنّ أقدم تأمّل لاهوتيّ في معنى المعموديّة هو ما نعثر عليه لدى الرسول بولس في الإصحاح السادس من رسالته إلى أهل روميه، حيث يعتبر أنّ المعمودية إنّما هي امتداد لسرّ موت المسيح وقيامته في حياة المعمَّد: «فدُفِنَّا معه بالمعموديَّةِ للموتِ حتى كما أُقيمَ المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآبِ هكذا نسلُكُ نحنُ أيضاً في جِدَّةِ الحياةِ» (رو ٦:٤).

مدرسة التنشئة اللاهوتية

يعلن مكتب التربية المسيحية في المطرانية عن بدء التسجيل للدورة الجديدة ٢٠٠٧–٢٠٠٨ في مدرسة التنشئة اللاهوتية. افتتاح السنة الدراسيَّة سيكون بصلاة الغروب التي ستُقام عند السادسة من مساء الإثنين ٨ تشرين الأول ٢٠٠٧ في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.

تستقبل المدرسة كل من تجاوز الثامنة عشرة من العمر من الذين يريدون التعرّف على عقائد كنيستهم ولاهوتها. تُعطى الدروس أيام الإثنين والثلاثاء والخميس بين السادسة والثامنة مساءً في المركز الرعائي الشامل في مدرسة الأقمار الثلاثة مقابل كنيسة القديس ديمتريوس وتشمل الكتاب المقدس، العقائد، الآباء وكتاباتهم، الليتورجيا والأسرار والطقوس، التاريخ الكنسي، البِدَع والطوائف، القانون الكنسي، علم الاجتماع الديني وعلم النفس.

للتسجيل ولمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بالرقم ٠١/٣٣٤٠٨٦

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb